الأستاذ: ناعم هشام

المقياس: أسلوبية وتحليل خطاب

السنة: الثانية ليسانس

النوع: تطبيق

الفوج: 9 و 13 و 15

القدس صفحة من كتاب الأحزان (٦)

علي الخرم

(١)

تَعَالَـــيْ ...
أنقذيني من عذاب الشوق والغربه
تعالي ...
إن قلبي ذاب في رعشة .
وروحي لفها ليل الأسى القتال والوحشه
تعالي ...
إنني قشه
تقاذفها رياح اليأس والرهبه
تعالي ...
بين أحضانك ضميني
على صدرك أَلْقَى الأمن والراحه
فهذا العالم المخبول صحراء
وفي أحضانك الواحه

(٢)

تعالي...
إن هذا الليل يصليني على بوابة المنفى ...
ويغرس فيَّ خنجره
فيمضي حده الجنون في جرحي
يداهم في شرايين رؤى الصبح
ليكشف سرها الغامض
ويحرم دمعة العين امتزاج الماء والملح
ويشطر قلبي النابض
إلى نصفين ...
نصف غارق في اليأس ..
والثاني تقلص راجفا يتوهم الخوفا
يفاجئه إذا أغفى

تعالي ...

فالليالي السود

تفقأ أعين الأحلام في نفسي

تصب مرارة الحرمان في كأسي

تصب عصارة اليأس

تعالي واشهدي بؤسي

لكي تتأكدي من أنني ولآخر اللحظات لم أجبن

وأني لم أبع نفسي

وما أذعنت يا قدسي

لشيطان الليالي الحاقد الأرعن

هنا تجدين من رمحي بقاياه

هنا سيفي الذي ما عاد لي منه سوى المقبض

وجرح غائر في الصدر ...

جرح فاغر فاه

هنا ملقى على جنبي أضمده ...

أضمده لكي أنهض

*****

التعريف بالشاعر :

* علي محمد الخرم (علي الخرم) .

* ولد عام ١٩٤٨م بدرنة .

* درس مراحل التعليم الأولى بدرنة .

* في عام ١٩٧٧ انتقل للعمل بالنشاط المدرسي .

* نشر نتاجه الأدبي في العمل ، والشعلة ، والزمان ، وبرقة الجديدة ، والفجر الجديد ، والشمس ، والشلال ، ومجلة الثقافة العربية ، والفصول الأربعة ، والهدف الفني ، ودارنس .

* حضر المهرجان السادس عشر للشعر العربي بالجزائر ١٩٨٤م ، والأسبوع الثقافي الليبي في المغرب ١٩٨٥م ، ومهرجان الفنون الشعبية بتركيا عام ١٩٧٩م .

٢- في انتظار الإنسان – دار البكوش – الطبعة الأولى عام ١٩٦٧م

٣- الجوع في موسم الحصاد – الدار الجماهيرية – الطبعة الأولى عام ١٩٨٤م (٧)

التعريف بالمتلقي :

المتلقي في القصيدة هو العربي المسلم في كل مكان ، لما للقدس من مكانة في قلبه وعقيدته الدينية الإسلامية ، ومدينة القدس مدينة عربية قلبا وقالبا ، والحق العربي فيها واضح ...تشهد بذلك كتب التاريخ والآثار القديمة والحفائر القديمة شهادة تامة ، وليس للعبرانيين أي حق فيها حيث إن دخولهم في هذه المدينة كان في فترات زمنية قصيرة جداً .....

وبالقدس بيت المقدس ، وله مكانة عظيمة في نفس كل مسلم ، فهو أول القبلتين ، وثالث الحرمين ، وإليه أسري بالنبي محمد صل الله عليه وسلم ، كما ورد في قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الاسراء:١) ومن فضل هذا البيت الكريم :

* كان قبلة المسلمين الأولى ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ، وبعد أن هاجر إلى المدينة توجه إلى الكعبة في صلاته ، كما جاء في قوله تعالى : (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) .

* أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (..ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا) (٨) .

* الصلاة فيه تعدل ألف صلاة ، كما جاء في عن ميمونة – مولاة النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها – قالت : قلت : يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس ، قال : " أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره " قلت : أرأيت إن لم أستطع أتحمل إليه ؟ قال فتهدي إليه زيتا يسرج فيه ، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه " (٩) .

ومدينة القدس اليوم مدينة قديمة ومدينة جديدة ، المدينة القديمة سليلة مدينة العصور الوسطى ، وتحتفظ بكثير من معالمها ، وما زالت محاطه بأسوار أقامها سليمان القانوني ١٥٣٥ م ، أما المدينة الجديدة فقد قسمت بحي هو من مخلفات معارك ١٩٤٨م ، واحتلت إسرائيل المدينة الجديدة التي اتسعت وطوت أسوار المدينة القديمة من ناحية الغرب وامتدت المدينة العربية إلى الشمال من الأسوار الشمالية (١٠) ، فأصبح هناك القدس الشرقية والقدس الغربية ، وأحاطت إسرائيل القدس بالمستعمرات حتى تقضي على هويتها العربية .

فالمتلقي المضمن في القصيدة هو كل عربي مسلم يعرف القدس ، ويعرف أنها سليبة

مغتصبة في يد يهودية غاصبة تدعي ملكيتها وحقها فيها التاريخي ، وليس لهم (أي اليهود) أي حق فيها ، والقصيدة صرخة من القدس وأهلها إلى كل مخاطب عربي ومسلم ، لما يعشه أهل القدس من تدمير لهم ولأرضهم ومن مسخ وطمس لهويتهم العربية والإسلامية من شاعر عربي مسلم .

معاني الكلمات :

الشوق : نزوع النفس إلى الشئ أو تعلقها به .والجمع : أشواق. الغربة : النوى والبعد
الوحشة : الانقطاع وبعد القلوب عن المودات
قشة : واحدة القش وهو ردئ التمر أو ما يكنس من المنازل أو ما يتخلف من القمح والأرز ونحوهما بعد استخراج حبه ، والجمع قشوش الرهبة : الخوف
المخبول : الخبل فساد العقل والجنون ، والمخبول من فسد عقله وجن . الواحة : مزرعة في وسط الصحراء
يصليني : صلى الشئ صليا : ألقاه في النار ، وصلاه العذاب أو الهوان أو الذل أي أصابه بها
رؤى الصبح : جمع رؤيا ، وهي ما يرى في النوم
عصارة اليأس : هو العصير وهو ما تحلب من الشئ عند عصره ، كعصير البرتقال . وما أذعنت : أذعن :
انقاد وسلس . الأرعن : الأهوج في منطقه . غائر : عميق فاغر :
فاتح أضمده :ضمد الجرح : شد ه بالضماد أو الضمادة أنهض : قام

معاني القصيدة

تعرض القصيدة صوت المستغيث في نسقين :
أ- ظاهر يتناول علاقة المحب بمحبوبته البعيد عنها .
ب- باطن يتناول علاقة القدس بأمتها العربية والإسلامية والعالم .
في ثلاثة أفكار رئيسية هي :
١- وصف حالة العزلة التي يعيشها .
٢- وصف ما يتعرض له من متاعب .
٣- أمل في غد جديد مغاير .

أ- ففي ظاهر القصيدة نسمع صوت المحب وهو يستغيث بمحبوبته ، وفي خطاب من طرف واحد هو المحب ، يظهر ذلك في أفعال الأمر التي تتخللها جملا فعلية واسمية . يشكو المحب من عذابه بين المتناقضات بين شوقه لمحبوبته وبين غربته في بلاد بعيدة ، وبين ذوبان قلبه للقاء محبوبته وبين وحشة روحه ، وفي اضطراب نفسه بين اليأس من تغير محبوبته وبين خوفه ...يطلب الأمن والراحة والطمأنينة بين الأحضان ، ويجد الجحود والنكران والتجاهل ممن يحيط به في هذا العالم ..
إن حالة المحب الراهنة تدعو للأسى والحزن ؛ فهو معذب مجروح دامع ؛ ورغم ذلك يتأمل في مستقبل غامض ... يضع أمله بين اليأس والرجاء ..لقد عاش هذا المحب أياما كئيبة وليالي سوداء ؛ فلا أحلام ولا آمال ، يعيش الحرمان واليأس والبؤس ؛ غير أنه ما باع نفسه وما فرط في حبه ، وما استمع يوما للحاقدين ...إنه دائما ما يضمد جراح قلبه ويبدأ في أمل جديد .
ب- وفي باطن القصيدة نحس بصوت القدس وهو يعاني ألم الاحتلال الإسرائيلي التهويدي الاستيطاني والحصار الدائم صريع ومعذب بين شوقه للانضمام لإخوانه العرب وبين بعده واحتلاله من قبل عدو يخالفه لغة وعقيدة

وحياة وسلوكا ، وبين خوفه من التهويد وضياع عربيته الفريدة التي ترسخت في جذوره منذ القدم ، وبين استجابة أهله لما يحاك ضدهم من مؤامرات ، وبين اليأس من زوال الاحتلال وضياع الهوية يطلب الأمن والآمان والسلام في ظل عالم يستجيب للمعتدى ولا يهتم بالمعتدى عليه .

يعاني الحصار والإغلاق بكافة أشكالهما على الشعب الفلسطيني من حصار وتجويع ، ومن قمع وقسوة وجوع ، ورفض إيصال المواد الغذائية والمعونات إلى الفلسطينيين ، أطفالا ورجالا وشيوخا ونساء ، ومن فرض قوات الاحتلال الإسرائيلية لحظر التجول على جميع قرى وبلدات المحافظات ، وتشديد الإجراءات على الحواجز العسكرية، وإغلاق جميع مداخل بلدات وقرى المحافظات ، وملاحقة المواطنين ومنعهم من الخروج أو الدخول ، وتوسيع حملات الاعتقالات في صفوف المواطنين .

ويعاني شعب فلسطين عامة والقدس خاصة مصادرة الأراضي الفلسطينية تحت أي حجة من الحجج مثل الملكيّة غير القانونيّة من قبل الفلسطينيين، أو مخاوف أمنية حكومية، أو حماية الملكيّة الفلسطينيّة لتحويل الطفل الفلسطيني إلى مشرد بلا ملأوى أو سكن .

كما يعاني شعب فلسطين والقدس الاعتداء على المؤسسات الصحية ، والقتل المتعمد للطواقم الطبية داخل المستشفيات ومراكز الرعاية الأولية وفى المنازل ....شأنها شأن جميع المواطنين المدنيين العزل ، واستشهد الكثير من الأسرة الطبية العاملة في القطاع الصحي سواء أطباء أو ممرضين أو سائقي إسعاف وفرق إنقاذ سقطوا برصاص الإرهاب العشوائي.

*كما يعاني شعب القدس الاعتداء على الأراضي الزراعية بتجريف الأراضي الزراعية ، وإتلاف الأشجار والمزروعات بالجرافات والآليات العسكرية، وهدم الغرفً الزراعية في الأراضي زراعية ، وتدمير المحلات التجارية للمواطنين ، وإتلاف شبكات الري والمياه ، وهدم المنازل .

غير أنه لا يزال يسعى إلى السلام العادل يعيش الحرمان من الحرية واليأس والبؤس ،لا ولم يفرط في شبر من أرضه ولم يخضع للمحتل ، ووقف له في كل قرار ...وتماثل للقيام بواجبه القانوني ، ويبدأ دائما من جديد غير يائس ولا وجل ولا هياب .

وكل من الظاهر والباطن قدم صورة الشاعر المعبر عن شعبه وحبه المطحون والذي يبحث عن أمل جديد مشرق .

تعليق أسلوبي :

١- القصيدة من الشعر الحر أو من شعر التفعيلة ، وقد ظهر تيار التفعيلة كحركة شعرية جديدة في أواخر الأربعينات على يد نازك الملائكة في قصيدتها الكوليرا عام ١٩٤٧م ، وامتد إلى الأقطار العربية ، فظهر في مصر في مطلع الخمسينيات على يد عبد الرحمن الشرقاوي وكمال نشأت وعبد المنعم عواد يوسف وصلاح عبد الصبور و عبد المعطي حجازي وحسن فتح الباب ، وقد ارتكز عطاؤهم على ثلاثة محاور أساسية هي البعد الذاتي و البعد الاجتماعي و البعد الوطني . وقد أمد هؤلاء الشعراء الحركة الشعرية بعطاء غزير مارس تأثيرا كبيرا على حركة الشعر المصري ، وساهموا في أشكال إبداعية جديدة وفي خلق أجيال أخرى بعدهم ؛ لعل منها جيل الستينيات الذي ضم شعراء مبدعين من أمثال محمد عفيفي مطر و أمل دنقل وفاروق شوشة

وملك عبد العزيز وبدر توفيق ووفاء وجدي و كمال عمار ومحمد إبراهيم أبو سنة ، وهو جيل استفاد من أصالة الثقافة العربية ، وأعقبه جيل آخر ثالث من أبرزهم أحمد عنتر مصطفى و نصار عبد الله ومحمد فهمي سند و أحمد الحوتي و أحمد سويلم و حسن النجار و فرج مكسيم و حسن توفيق ، ثم جيل رابع وهو جيل السبعينيات الذي امتد هو الآخر بهذه الحركة ونذكر منهم حسن طلب و حلمي سالم و أمجد ريان و فولاز الأنوار و عبد الشافي داود و مفرح كريم و فوزي خضر (١١) ، وتلاهم جيل الثمانينيات و التسعينيات حتى اليوم .

وقد تأثر الشعر الليبي المعاصر بهذه الموجة الشعري ،ونسج عدد غير قليل من الشعراء الليبيين على هذا المنوال بل وأجادوا من أمثال فرج العربي ، وفرج العشة ومفتاح العماري ، وعلي الخرم وغيرهم ...وهؤلاء تأثروا بالمدرسة الأدبية الجديدة (١٢) .

٢- تقدم هذه القصيدة رؤية حزينة من شاعر عربي يأسى على القدس، وقد أحاطت بها الأيادي الإسرائيلية تغير من هويتها وتاريخا وحضارتها ،تلبسها ثوبا غريبا عنها ، وتستنطق الهمم لنجدتها وحمايتها مما تواجهه من قتل وتدمير وتشريد .

٣- تسيطر على القصيدة جملة الأمر في الأفعال : تعالي ، أنقذيني ، اشهدي بل يتكرر الفعل تعالي دلالة على الإلحاح وشدة الكرب وطلب النجدة ، وتتنوع التراكيب الجملية المنتظمة ضمن محيط جملة الأمر الممتدة عبر القصيدة ما بين الجمل الاسمية والاسمية ذات الخبر الفعلي :

* إن قلبي ذاب في رعشة وروحي لفها ليل الأسى القتال والوحشه

* إنني قشه تقاذفها رياح اليأس والرهبه

* فهذا العالم المخبول صحراء ، وفي أحضانك الواحه

* إن هذا الليل يصليني على بوابة المنفى ...ويغرس فيّ خنجره فيمضي حده المجنون في جرحي ، يداهم في شرايين رؤى الصبح

* فالليالي السود ، تفقأ أعين الأحلام في نفسي ، تصب مرارة الحرمان في كأسي ، تصب عصارة اليأس وهي توحي بثبات ما هي فيه من عذاب وهدم وتدمير دائم ...

وما بين الجمل الفعلية :

*ليكشف سرها الغامض ، ويحرم دمعة العين امتزاج الماء والملح ، ويشطر قلبي النابض إلى نصفين ...نصف غارق في اليأس ..

* تجدين من رمحي بقاياه ...هنا سيفي الذي ما عاد لي منه سوى المقبض ، وجرح غائر في الصدر ...جرح فاغر فاه هنا ملقى على جنبي أضمده ...، أضمده لكي أنهض .

ويقوم توازن بين المضارع والماضي موازيا لما هي فيه من ثبات حالة التدمير

، مع ميل الفعل المضارع أنهض للتغيير في الحالة .

٥- القصيدة صورة استعارية مركبة في تصوير القدس بالطفل المستغيثة ، وتصوير الأمة العربية بالأم . ومـــن هذه الصور الكبرى تخرج رموز :

ليل الأسى القتال والوحشه ، رياح ، الليل ، الليالي السود : المستعمر اليهودي

أحضانك : حمايتك .

العالم المخبول صحراء : صمت العالم وتشوه الصورة الصحيحة عن حقيقة إسرائيل

خنجره ، حده المجنون : سلاحه .

رؤى الصبح : أمل التحرر والتقدم

ويشطر قلبي النابض إلى نصفين ... : اختلاف الرؤية حول ما تعانيه القدس .

أضمده لكي أنهض : الأمل في الانتصار والخروج من الاحتلال .

وبهذا تكاملت في القصيدة سمات أسلوبية على مستويات : الرؤية و التركيب والصورة .